[الثَّبَاتُ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ عَلَامَاتِ الْقَبُولِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَبِشُكْرِهِ تَزْدَادُ النِّعَمُ وَتَكْثُرُ الْبَرَكَاتُ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ ﷺ: (أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ)، صَلَوَاتُ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَاتَّقوا اللهَ القَائِلَ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَات﴾.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْإِيمَانِ

فَهَا هُوَ الشَّهْرُ الْفَضِيلُ قَدِ انْقَضَى، وَانْحَسَرَ ظِلُّهُ عَنِ الْكَوْنِ وَانْطَوَى، وَآنَ الْأَوَانُ لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى مَا كَسَبَتْ فِيهِ مِنْ ثِمَارِ الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى، وَمَا تَزَوَّدَتْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَهِيَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُوتُونَ مَا ءَاتَوْاْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾. أَيْ: يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْاْ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْبِرِّ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ؛ فَهُمْ لِذَلِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

فَمَنْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَبْلَى الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ الَّذِي مَضَى، فَلْيَثْبُتْ عَلَى طَاعَتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ؛ فَإِنَّ خَيْرَ مَا يَلْقَى بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ إِيمَانٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ؛ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ التَّابِعِيِّ عَلْقَمَةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: (سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ؛ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ). وَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ).

فَهَذَا هُوَ هَدْيُ نَبِيِّنَا ﷺ عُمُرَهُ كُلَّهُ، فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا دَاوَمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَهْجُرُهُ أَبَدًا إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ مِنَ الْعَمَلِ مَا كَانَ دِيمَةً، أَيْ: مُسْتَمِرًّا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَلَا يُخَصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ بِعَمَلٍ خَاصٍّ، وَكَانَ ﷺ يَكْرَهُ هِجْرَانَ الْعَمَلِ وَتَرْكَهُ بَعْدَ الِاشْتِغَالِ بِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَكَاسُلٍ بَعْدَ نَشَاطٍ، وَفُتُورٍ بَعْدَ قُوَّةٍ وَعَزْمٍ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّواْ). أَيْ: لَا يُتْرَكُ إِثَابَتَكُمْ عَلَى عَمَلِكُمْ حَتَّى تَتْرُكُواْ الْعَمَلَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى الْعَمَلِ وَالِاسْتِمْرَارَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِهِ وَتَأْثِيرِهِ فِي النَّفْسِ، وَبُلُوغِ مَقَاصِدِهِ الَّتِي لِأَجْلِهَا شُرِعَتِ الشَّرَائِعُ؛ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَغَيْرِهَا؛ إِنَّ هَدْيَ نَبِيِّنَا ﷺ - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ -، هُوَ: أَنْ نُّدَاوِمَ عَلَى مَا أَلِفْنَاهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الطَّاعَاتِ، اِسْتِدَامَةً لِثَمَرَاتِهَا الْعَظِيمَةِ فِي النَّفْسِ وَالْجَسَدِ وَالْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ؛ فَلْنُحَافِظْ إِذَنْ – عِبَادَ اللهِ – عَلَى صِيَامِ التَّطَوُّعِ مَا اسْتَطَعْنَا، وَلْنُحَافِظْ عَلَى الْوِرْدِ الْقُرْآنِيِّ، وَمَا تَيَسَّرَ مِنْ نَّوَافِلِ الصَّلَاةِ، وَلْنُحَافِظْ عَلَى الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ؛ اَلْوَاجِبِ مِنْهَا وَالتَّطَوُّعِيِّ، وَتَعَاهُدِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْيَتَامَى وَالْمُحْتَاجِينَ.

وَلْنَحْذَرْ أَنْ تَكُونَ طَاعَتُنَا مَوْسِمِيَّةً تَنْتَهِـــي بِانْتِهَاءِ رَمَضَانَ، ثُمَّ نَعُودَ إِلَى الْعَوَائِدِ السَّيِّئَةِ الَّتِي حَرَّرْنَا أَنْفُسَنَا مِنْهَا؛ كَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْخُمُولِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى؛ فَكُلُّهَا آفَاتٌ يَجِبُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا أَبَدًا بَعْدَ شَهْرِ الْمُجَاهَدَةِ وَالصَّبْرِ وَالْإِيثَارِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ: (إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً – أَيْ: حِدَّةً وَقُوَّةً -، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ). عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْخَيْرَ وَالصَّوَابَ فِي الِاقْتِصَادِ فِي الْعَمَلِ، وَأَنَّ الشِّرَّةَ وَالْحِدَّةَ فِيهِ تُؤَدِّي إِلَى الْفُتُورِ وَتَرْكِهِ بِالْمَرَّةِ.

أَلَا فَاتَّقُواْ اللهَ – عِبَادَ اللهِ -، وَاعْرِفُواْ فَضْلَهُ وَآلَاءَهُ عَلَيْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْـمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْغَايَةَ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ: أَنْ يُؤْتَيَ ثِمَارَهُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَأَنْ يَتْرُكَ فِيهِمْ آثَارَهُ الطَّيِّبَةَ وَنَفَحَاتِهِ الْخَيِّرَةَ، وَذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَسْبَابِ:

أَوَّلُهَا: اَلْإِخْلَاصُ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْعَمَلِ، وَسَبَبٌ أَسَاسِيٌّ فِي تَحْبِيبِ الْعِبَادَةِ لِلْمُسْلِمِ لِيَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا؛ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا كَانَ لِلَّهِ دَامَ وَاتَّصَلَ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ اللَّهِ اِنْقَطَعَ وَانْفَصَلَ).

ثَانِيهَا: اَلْبُعْدُ عَنِ الْغُلُوِّ وَالتَّشَدُّدِ؛ فَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الِانْقِطَاعِ؛ لِبُعْدِهِ عَنْ مَنْهَجِ الِاعْتِدَالِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، بِحَيْثُ يَقَعُ صَاحِبُهُ فِي الْحَرَجِ، وَيَتَبَرَّمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، مِمَّا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِالْـمَرَّةِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ؛ فَإِنَّ الْـمُنْبَتَّ لَا سَفَرًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى، فَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَّنْ يَمُوتَ أَبَدًا، وَاحْذَرْ حَذَرًا تَخْشَى أَنْ تَمُوتَ غَدًا).

ثَالِثُهَا: اَلْـمُوَازَنَةُ بَيْنَ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ؛ وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَنَّهَا جَمِيعًا مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَجِبُ أَدَاؤُهَا، وَمِنَ الْعُقُودِ الَّتِي يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا؛ كَمَا قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: (إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ).

تِلْكُمْ – عِبَادَ اللَّهِ – بَعْضُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَكُونُ عَوْنًا فِي الْـمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، وَاسْتِصْحَابِ ثِمَارِ الصِّيَامِ طُولَ الْعَامِ؛ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ، وَحِفْظِ اللِّسَانِ، وَكَفِّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ؛ كَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَالْكَرَاهِيَةِ وَغَيْرِهَا.

هَذَا؛ وَخَيْرُ مَا نَخْتِمُ بِهِ الْكَلَامَ، وَنَجْعَلُهُ مِسْكَ الْخِتَامِ، أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَدْرِ التَّمَامِ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَدَدَ خَلْقِكَ وَرِضَى نَفْسِكَ وَزِنَةَ عَرْشِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْـمُطَهَّرِينَ، وَصَحَابَتِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَنُجُومِ الِاقْتِدَاءِ، وَخُصُوصًا مِنْهُمُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ،

خَادِمَ الحَرمينِ الشَريفَينِ وشُدَ عَضُدَهُ بوليَّ عَهدِهِ ، وَوَفقهُم واكْتبْ لَهم الأجرَ والثوابَ واجْعل خُطاهُم عَلى مَاتُحبُ وترْضى يَاربَ العالمين.

اَللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَيْنَا عِزَّ طَاعَتِكَ، وَأَذْهِبْ عَنَّا ذُلَّ مَعْصِيَتِكَ، وَحَبِّبْ إِلَيْنَا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ بِمَا شَرَعْتَهُ مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَفْلٍ، وَاعْصِمْنِا مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ، وَعَافِنَا مِنْ جَمِيعِ الْـمِحَنِ، وَأَصْلِحْ مِنَّا مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا صَلَاتَنَا وَصِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَرُكُوعَنَا وَسُجُودَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا، اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ وَالِدِينَا، وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَارْحَمْ مَنْ عَلَّمَنَا، وَارْحَمْ بِفَضْلِكَ جَمِيعَ الْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِمَاتِ، وَالْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ، اَلْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.